

الاتساق المعجمي في قصيدة (زارت سُكينة أطلاحاً) للفرزدق

Lexical cohesion in the poem (Zarat Sukayna Atlāḥan / Sokayna had visited weak camels) by Al-Farazdaq

د: البشير عباية^{*1}

¹ جامعة الوادي (الجزائر) ababba-bachir@univ-eloued.dz

تاريخ النشر: 2025/12/27

تاريخ المراجعة: 2025/11/18

تاريخ الإيداع: 2025/07/13

ملخص:

تتناول هذه الدراسة وسائل الاتساق المعجمي في قصيدة (زارت سُكينة أطلاحاً) للفرزدق؛ وهي قصيدة نظمها الشاعر لمَدح الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز، فاستعمل فيها عدّة آليات لغوية نصّية، منها التكرار والتضام؛ وهما وسيلتا اتساق معجمي كان لهما دور كبير في تماسك نصّه الشعريّ المدروس، خاصة ما تعلّق بظاهرة التكرار؛ إذ وظّفه الشاعر في قصيدته بطرق مختلفة ما جنّب شعره الرتابة وأكسبه تماسكا نصّيا، إضافة إلى توظيفه آلية التضام؛ من خلال استعماله علاقات معجمية مختلفة بين المفردات المكونة لقصيدته، فشكّلت الوسيلتان معا إحدى أهمّ الآليات في اتساق النص الشعريّ المدروس. .

الكلمات المفتاحية: الاتساق، المعجمي، التكرار، التضام، الفرزدق.

Abstract:

This study addresses the methods of lexical cohesion in the poem (Zarat Sukayna Atlāḥan / Sokayna had visited weak camels) by Al-Farazdaq. The poet wrote this poem to praise the Umayyad caliph, Umar ibn Abd al-Aziz, using several linguistic and textual mechanisms, including repetition and collocation. These two methods of lexical cohesion had a significant role in the cohesion of the analyzed poetic text, especially concerning the phenomenon of repetition. The poet employed repetition in various ways, which helped avoid monotony in his poetry and contributed to its textual coherence. Additionally, the poet used collocation by creating different lexical relationships between the words in the poem, making both methods central to the cohesion of the studied poetic text.

Key words: Cohesion , Lexical, Repetition, Collocation, Al-Farazdaq.

* المؤلف المراسل

تقديم:

لم تعد الدراسات اللغوية الحديثة مقتصرة على تحليل الجملة المفردة، بل توسّعت لتشمل شبكة العلاقات التي تربط البنية الكلية للنص، وهذا ما تركّز عليه اللسانيات النصية التي برزت فيها عدة آليات لتحليل النصوص، لاسيما وسائل الاتساق النحوي والمعجمي، وهذه الأخيرة تعدّ من المفاهيم اللغوية المهمة التي تسهم في بناء التماسك النصي، وقد لخصها الباحثون في آيتين هما التكرار والتضام، ولإظهار أهمية هاتين الآيتين في تحليل النصوص الأدبية لاسيما الشعرية منها؛ لتمييزها عن غيرها بخصائص تركيبية معيّنة، تمّ اختيار قصيدة من شعر الفرزدق لمكانته كواحد من أبرز شعراء العصر الأموي؛ إذ تميّز شعره بغناه اللغوي وعمق دلالاته، وقدرته على توظيف الصور والمعاني بأساليب مبتكرة، فكانت قصيدة(زارت سُكينة أطلًا) موضوعا للدراسة لتوفّرها على علاقات معجمية كثيرة ومتنوعة، وقد نظمها الشاعر لمَدح الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز؛ والذي يعدّه كثيرون خامس الخلفاء الراشدين لورعه وزهده وعدله، وقد صوّر فيها الفرزدق معاناة الفقر والجوع التي عاشها راجيا كرم الخليفة، في تصوير قويّ يعكس عمق تجربته الإنسانية، لذا تهدف هذه الدراسة إلى إبراز وسائل الاتساق المعجمي في القصيدة المذكورة وتبيين دورها في تماسكها النصي، فما هي وسائل الاتساق المعجمي التي وظّفها الشاعر في قصيدته؟ وكيف أسهمت في تماسك النص الشعري المدروس؟ ولتوضيح هذا سيتناول البحث شبكة المفاهيم الأساسية أوّلا ثم التكرار والتضام كآيتين تشكّلان الاتساق المعجمي في القصيدة.

أولا: مفاهيم أساسية:

قبل عرض وسائل الاتساق المعجمي في القصيدة المستهدفة نوضّح بعض المفاهيم المفتاحية لهذه الدراسة في المعاجم اللغوية وفي اصطلاح اللغويين كما هي مبينة في ما يلي:

1- الاتساق :

أ- لغة: من الجذر وَسَقَ ومصدره الوَسَقُ، فَوَسَقَ الشَّيْءَ بمعنى جَمَعَهُ وَحَمَلَهُ¹، والوسق: ضَمُّ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وَكُلُّ مَا انْضَمَّ فَقَدْ انَّسَقَ، وَالطَّرِيقُ يَأْتَسِقُ وَيَتَسَقُ أَي يَنْضَمُّ، والاتساق: الانتظام².

يتضح من خلال هذه المفاهيم اللغوية أنّ معنى الضمّ قد غلب في العديد من استعمالات الاتساق المختلفة، ولعلّ هذا المعنى هو الذي جعل اللغويين يستخدمونه في عملية الترابط النصي.

ب- اصطلاحا: يعرفه محمد خطابي بقوله: "ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنصّ/خطاب ما ويهتم فيه بالوسائل اللغوية(الشكلية)التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أوخطاب برمته"³.

يركّز هذا التعريف على أهمية دور الروابط اللغوية الشكلية في عملية التماسك النصي الداخلي للنصوص أوالخطابات دون تفرقة بينهما، سواء أكانت مجزأة أم مكتملة، ودون الإشارة إلى أيّ علاقات خارجية؛ ما يعني عدم أهميتها في هذه العملية.

ويرى بعض الباحثين أنّ الاهتمام بالوسائل الشكلية لا تقلّ قيمة عن المضمون، وحين يتحدان معا في صورة النص؛ فإنّ النص يكون المنطلق ويكون تحليله يجمع في كلّ مراحل الوصف بينه وبين ذلك الشكل الخاص الذي يكشف عن مكوّنات النسيج الكلّي الموحد⁴.

2- المعجم:

أ- لغة: الْمُعْجَم مفرد و جمعه مُعْجَمَات وَمَعَاجِمٌ، وهو اسم مفعول من الفعل أَعْجَمَ⁵، وله استعمالات عديدة، فَيُقَالُ قُلٌّ مُعْجَمٌ وَأَمْرٌ مُعْجَمٌ إِذَا اغْتَاصَ⁶، وَأَعْجَمَ فُلَانٌ الْكَلَامَ إِذَا ذَهَبَ بِهِ إِلَى الْعُجْمَةِ وَمِنْهُ دَلَّتِ الْعُجْمُ عَلَى غَيْرِ الْعَرَبِ، لَأَنَّ فِي كَلَامِهِمْ إِبْهَامًا وَعَدَمَ إِفْصَاحٍ⁷.

من خلال هذه المفاهيم اللغوية للمعجم يتضح للقارئ اتفاقها على معنى عدم الوضوح والصعوبة، وربما هذا ما جعل المعاجم اللغوية بهذا الاسم لوجود صعوبة في فهم كثير من معاني كلماتها.

ب- اصطلاحاً: المعجم هو "كتاب يضمُّ مفرداتٍ لغويَّةً مرَّتبةً ترتيباً معيَّناً وشرحاً لهذه المفردات أو ذكر ما يقابلها بلغة أخرى"⁸.

فال معنى المعجمي يهتم بمعنى الكلمة بمعزل عن السياق، وهو ما يعرف بالدلالة الذاتية⁹، لذا لا يمكن الاعتماد كثيراً على المعنى المعجمي وحده لمن أراد فهم المعاني الدقيقة لكثير من العبارات والجمل، لأن كثيراً من الكلمات لا تتحدّد دلالاتها إلا إذا ارتبطت بسياق معيّن.

3- الاتساق المعجمي: يعرفه هاليداي (Halliday) ورقية حسن بقولهما: "هو الربط الذي يتحقق من خلال اختيار المفردات عن طريق إحالة عنصر إلى عنصر آخر، أي: هو ذلك الربط الإحالي الذي يقوم على مستوى المعجم، فيحدث الربط بواسطة استمرارية المعنى بما يعطي النص صفة النصية، حيث تتحرك العناصر المعجمية على نحو منتظم في اتجاه بناء الفكرة الأساسية للنص وتكوينه"¹⁰.

وقد عدّه الباحثون آخر مظهر من مظاهر اتساق النص؛ إذ يتمّ في الغالب التركيز على مظاهر الاتساق النحوي أولاً، ليتّم الانتقال إليه ثانياً، وقد قسّموه إلى نوعين: التكرار والتضام، كما ستبينه هذه الدراسة.

ثانياً: التكرار:

التكرار أو كما يسميه بعض الباحثين التكرير هو "شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي، أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو اسماً مطلقاً أو اسماً عاماً"¹¹، فيكون بتكرار العبارة نفسها أو يكون بعبارة مختلفة الإحالة¹²، فالتكرار من الروابط التي تصل بين العلاقات اللسانية، ويتطلب الاستمرارية في الكلام، بحيث يتواصل الحديث عن الشيء نفسه؛ بالمحافظة على الوصف الأول كما هو أوتغيّره عنه¹³، فهو وسيلة مهمّة لتكوين النصوص والربط بين أجزائها بشكلي جليّ، وفي ما يلي تفصيل ذلك:

1- التكرار المحض (الكلي): في هذا النوع يتكرّر اللفظ نفسه مرتين أو أكثر في النصّ، بصورة متطابقة تماماً في الرسم أو النطق، ويمكن أن يرد بصورتين: تكرار يدلّ على المسعى نفسه لفظاً ومعنى، وتكرار للفظ دون المعنى¹⁴، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ الفردق قد وظّف النوع الأول منه في قصيدته دون الثاني، من ذلك ذكره لفظ (ابن ليلى) ستّ مرّات في قوله¹⁵:

أَوْ تَعْطِفَ الْعَيْسَ صُعْرًا فِي أَرْمَتِهَا إِلَى ابْنِ لَيْلَى إِذَا ابْرُوزَى بِكَ السَّقَرُ

مِثْلُ النَّعَائِمِ يُزَجِينَا تَنْقُلُهَا إِلَى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرُ وَالْبُكْرُ

سَيَرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمْ وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ الْعُرْفَ مُبْتَدَرُ

وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى الْمَوْتِ إِنَّ لَهُ كَفَّيْنِ مَا فِيهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَصْرٌ
وَقَدْ حُمِدَتْ بِأَخْلَاقٍ خُبِرَتْ بِهَا وَإِنَّمَا يَا ابْنَ لَيْلَى يُحَمَّدُ الْخَبْرُ
وَنَائِلٌ لِابْنِ لَيْلَى لَوْ تَضَمَّنَتْهُ سَيْلُ الْفُرَاتِ لَأَمْسَى وَهُوَ مُحْتَقَرٌ

نلاحظ تكرار لفظ (ابن ليلي) في أبيات عديدة من هذه القصيدة، وهو يقصد عمر بن عبد العزيز، فهو يحث قومه إلى الذهاب إليه، لينالوا من كرمه بعد الأزمة التي مروا بها، فهو الكريم الذي ذاع صيته في البلاد، حتى أن نهر الفرات الفيّاض بمائه يبدو محتقرا أمام كرمه¹⁶، وقد اختار الشاعر هذا اللفظ (ابن ليلي) للتذكير بالممدوح في أجزاء كثيرة من القصيدة، خاصة أن اللفظ ورد في أبيات متفرقة (15-18-26-27-37-39) فربط من خلاله الكلام في مواضع القصيدة المختلفة، إضافة إلى إبراز نسب الممدوح من جهة أمه ليلي بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فهي حفيدة ثاني الخلفاء الراشدين.

وقد كرّر الشاعر كلمة (مال) في مواطن عدّة في قوله¹⁷:

وَجَائِحَاتٌ ثَلَاثٌ مَا تَرَكَنَا مَالاً بِهِ بَعْدَهُنَّ الْغَيْثُ يُنْتَظَرُ
فَقُلْتُ كَيْفَ بِأَهْلِي حِينَ عَضَّ بِهِمْ عَامٌ لَهُ كُلُّ مَالٍ مُعْنِقٌ جَزْرُ
عَامٌ أَتَى قَبْلَهُ عَامَانِ مَا تَرَكَ مَالاً وَلَا بَلَّ عوداً فِيهِمَا مَطَرُ

فالشاعر في هذه الأبيات ذكر صراحة حاجته إلى المال، فبعد افتتاح القصيدة انتقل مباشرة إلى وصف حالته في الأبيات (5-7-8)، فذكر البلى التي ألمت بهم فلم تترك عندهم مالا يعينهم على ظروف الحياة، فالجذب أصابهم هذا العام كما أصاب العامين السابقين¹⁸، لذا كان التكرار الكلي لكلمة (مال) لإبرازها من ناحية، ولربط الكلام ببعضه ببعض؛ إذ تكلم أولا عن سنوات الجذب مجملة وقرنها بالمال، ثم قرن المال أيضا بعامه الأخير، كما تمّ قرنه بالعامين السابقين أيضا، فكان التكرار ربطا دلاليا بينها جميعا ما أكسب أبيات القصيدة تماسكا نصيا معجميا.

وقد ورد التكرار الكلي في مواضع أخرى من القصيدة، كما هو موضّح في الجدول الآتي:

رقم البيت	الكلمة المكررة	عدد التكرارات
44-34-33-31	الله	04
38-32-28	مروان	03
35-33	قريش	02
31-30	ظلّ	02

من خلال هذا الجدول يتبيّن أن الفرزدق وظّف التكرار الكلي في الأسماء دون الأفعال؛ من خلال تكرار لفظ الجلالة (الله) أربع مرات لإثبات عظمة الخالق وقدرته على تغيير الأمور والأحوال، كما تكرّرت كلمة (مروان) ثلاث مرّات لتذكيره بجده في الكرم والشجاعة، إضافة إلى تكريره كلمة (قريش) مرتين لإظهار النسب الشريف للممدوح، أما كلمة (ظلّ) فاستعملها مرتين؛ مرة لوصف سوء حاله، ومرة للواقع الذي سيغيّره الله مع الخليفة عمر بن عبد العزيز، وقد أسهمت جميعها في النسيج الداخلي لشعره.

2- التكرار الجزئي: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه ولكن في أشكال وفئات مختلفة¹⁹، وتتغير هذه الأشكال باستعمال صيغ متنوعة للكلمة، فيمكن أن يتصرف الفعل مثلا في الماضي والمضارع والأمر، ويمكن بالنسبة للاسم أن يتكرر عبر مشتقاته المختلفة، وأن يتغير إسناده أيضا، وهكذا مع بقية الكلمات، ويعطي هذا النوع من التكرار منتج النص القدرة على خلق صور لغوية جديدة تسهل فهم الكلمات المكررة، كما تبعد الرتبة الناتجة عن التكرار الكلي أيضا²⁰، وقد استعمل الفرزدق في قصيدته التكرار الجزئي بكثرة وبشكل جلي، من ذلك قوله²¹:

وَأَقْرَبُ الرِّيفِ مِنْهُمْ سَيْرٌ مُنْجَذِبٌ بِالقَوْمِ سَبْعَ لَيَالٍ رِيفُهُمْ هَجَرٌ
سَيَرُوا فَإِنَّ ابْنَ لَيْلَى مِنْ أَمَامِكُمْ وَبَادِرُوهُ فَإِنَّ العُرْفَ مُبْتَدَرٌ
وَبَادِرُوا بِابْنِ لَيْلَى المَوْتَ إِنَّ لَهُ كَفَيْنَ مَا فِيهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَصَرٌ

نجد في هذه الأبيات المتتابعة (25-26-27) من القصيدة تكرارا جزئيا للكلمات (الريف، ريفهم)، (سَيْر، سَيَرُوا)، (بَادِرُوهُ، مُبْتَدَرٌ، بَادِرُوا)، فالمثال الأول وردت كلمة الريف بحالتين مختلفتين: التعريف ب(ال)، والإضافة، فعُرِفَت الكلمة الأولى لتحديد ما حين وصف مدة السير إليها بسبع ليال، في حين استعمل الإضافة إليهم في الثانية ونسب الريف إليهم حال دخوله، وأما المثال الثاني فورد الاسم (سَيْر) أولا ثم الفعل (سَيَرُوا)، فبعدما ذكر المصدر في البيت الأول الخالي من الدلالة الزمنية عند كلامه عن أقرب مكان أهلي في حال تم قصده؛ حثَّ القوم على السير نحو عمر بن العزيز باستعمال فعل الأمر الدالّ هنا على الزمن القريب للإسراع والوصول إليه في أقرب وقت ممكن، وأما المثال الثالث فنوع بين فعل الأمر المسند إلى جمع الذكور؛ مرتبطا بضمير الغائب مرة وغير مرتبط به مرة أخرى، إضافة إلى استعمال اسم المفعول منه، ليحثهم على الإسراع إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، فهذا التنوع في استخدام الكلمات بصور مختلفة أسهم في ترابط هذه الأبيات المذكورة بصورة بعيدة عن الرتبة والتكرار المطابق.

وقد ورد التكرار الجزئي في هذه القصيدة في مواضع أخرى عديدة كما هو موضح في الجدول الآتي:

رقم البيت	الشواهد	نوع التكرار الجزئي
21-13-02	مَوْتُوا/الموت/مات	مزيج بين الاسم والفعل، فالمثال الأول فعل ماض مبني لغير الفاعل ومسند إلى جمع الذكور، والثاني اسم معرف ب(ال)، في حين ورد المثال الثالث فعلا ماضيا مسندا إلى الغائب المذكور.
36-10-05	جائحات/ جائحة	تكرار اسمي، ويكمن الفرق في الجمع والإفراد.
08-06-05	تركن/لم تترك/ تركا	تكرار فعلي، المثال الأول فعل ماض مسند إلى جمع المؤنث، والثاني فعل مضارع مجزوم مسند إلى المثني المؤنث، وأما الثالث فهو فعل ماض مسند إلى المثني المذكور.
22-05	الغيث/غيثا	تكرار اسمي، الفرق بينهما التعريف والتنكير.
08-07	عام/عامان	تكرار اسمي، الفرق بينهما الإفراد والتثنية.

11	واردها/واردة	تكرار اسمي، الكلمة الأولى مضافة إلى ضمير المؤنث المفرد الغائب، أما الثانية فهي اسم مفرد غير مضاف
36-35-11	أيام/الأيام/يوما	تكرار اسمي، ويكمن الفرق بين هذه الأمثلة في التعريف والتنكير، وفي الجمع والإفراد
16-14	منازلها/منزلة	تكرار اسمي، الفرق بينهما الجمع والإفراد، والتعريف بالإضافة والتنكير.
30-25	بالقوم/قومك	تكرار اسمي، الفرق بينهما التعريف ب(إل)، والتعريف بالإضافة إلى ضمير المخاطب المفرد المذكر.
31-28-27	كفين/كفيه/كفيك	تكرار اسمي، ويكمن الفرق بين هذه الأمثلة في كون الأول مثنى نكرة، في حين كان الثاني معرفة مضافا إلى ضمير الغائب المذكر، أما الثالث فهو معرفة مضاف إلى ضمير المخاطب المذكر.
29-28	العود-عود	تكرار اسمي، الفرق بينهما التعريف والتنكير.
29-28	العرق-عرقان	تكرار اسمي، الفرق بينهما الإفراد والتثنية.
37	خُودت/يُحمد	تكرار فعلي، الفعل الأول مبني لغير الفاعل ومسند إلى المؤنث، أما الفعل الثاني فهو مبني لغير الفاعل أيضا ومسند إلى المذكر
37	خُبرت/الخبر	مزيج بين الاسم والفعل، فالمثال الأول فعل ماض مبني لغير الفاعل، والثاني اسم معرف ب(إل).
42	عاقبوا/عُقوبهم	مزيج بين الاسم والفعل، فالمثال الأول فعل ماض مسند إلى جمع الذكور، والثاني اسم مضاف إلى جمع الغائب المذكر.

من خلال هذا الجدول يتّضح أن الفردق قد وظف التكرار الجزئي في مواضع عديدة من قصيدته، موظّفا الأفعال بشتى تصريفاتها، والأسماء بمختلف اشتقاقاتها، منوّعا بين التكرار الفعلي تارة، والتكرار الاسمي تارة، والمزج بينهما تارة أخرى، وقد قارب بين مواضع هذه التكرارات أحيانا وباعد بينها أحيانا أخرى، مما أبعد عن شعره المدرّوس الرتابة والملل حين رَبط العبارات اللغوية الواردة في قصيدته، كما أضاف معاني جديدة ناتجة عن توظيف هذه الصيغ المختلفة.

3- التكرار بالمرادف أو شبه الترادف: فالترادف هو التطابق التام في المعنى بين كلمتين أو أكثر، أمّا شبه الترادف أو كما يسمّيه بعض الباحثين بالتشابه أو التقارب فهو حين يتقارب اللفظان في المعنى تقاربا شديدا، وإذا لم يكن كذلك سُمّي تقاربا دلاليا²²، وفي الحقيقة مسألة الترادف التام مسألة خلافية عند علماء اللغة، وما يهَمُّنا هنا دور الترادف وشبهه في التماسك النصي في القصيدة المدرّوسة، وقد أورده الفردق في مواضع عديدة، منها قوله²³:

وَبَادِرُوا بِإِبْنِ لَيْلَى الْمَوْتِ إِنَّ لَهُ كَفَّيْنِ مَا فِيهِمَا بُخْلٌ وَلَا حَصْرٌ

فالفردق استعمل الترادف في هذا البيت بين الكلمتين: (بُخْلٌ - حَصْرٌ)، فالْحَصْرُ في اللغة يعني: البخل أيضا كما ذكر ابن منظور²⁴، وقد وظّفه هنا لربط هذه المعاني بطريقة تؤثر على المتلقي من جهة، ولنفي بُعد

الممدوح عمر بن عبد العزيز عن البخل بدرجاته المختلفة من جهة أخرى، لَحَثَ قومه على الإسراع إليه كي ينالوا من كرمه.

وقد ورد التكرار بالترادف أو شبهه في مواضع أخرى من القصيدة يوضّحها الجدول الآتي:

رقم البيت	الشواهد	نوع التكرار بالترادف أو شبهه
4	ساقنا/يزجي	ترادف بين الكلمتين؛ فيزجي بمعنى يسوق أيضا ²⁶ .
22-08	غيثا/مطر	فشبه الترادف حاصل بين غيث ومطر، لأن ما تنبتة الأرض غالبا يرتبط بالمطر، وهناك من يرى أن الغيث يعني المطر مباشرة ²⁷ .
10	تبقي/تذر	شبه ترادف بين الكلمتين؛ فتذر بمعنى تترك، وهي تشبه معنى الكلمة تبقي.
15-18-26-27-34-37-39	ابن ليلي/عمر	ابن ليلي هو عمر نفسه، فالكلمتان اختلفتا لفظا واتفقتا معنى.
32-35	أزمان/دهر/أيام	شبه ترادف بين هذه الكلمات: فالأيام جمع يوم، وهي من الثلاثة فأكثر، والأزمان جمع زمن، ويتداخل مع الأيام أيضا، والدهر مدة غير محددة.
43	من/كدر	شبه ترادف بين الكلمتين؛ فالمن يفسد العطايا، والكدر كل ما يفسدها أيضا.

فالترادف أو شبهه موجود في قصيدة الفرزدق، وقد تنوّع وروده بين الأسماء والأفعال بغلبة ملاحظة للأسماء؛ نظرا لاحتواء الجملة الواحدة على أسماء كثيرة مقارنة بالأفعال، فالترادف من الأمور التي استعملها الشاعر هنا لتجنّب التكرار المباشر من ناحية، ولإضافة المعاني الدقيقة بين الكلمات المترادفة أو شبه المترادفة من ناحية أخرى، وهذا ما يعطي نصّه الشعري بُعدا جماليا أيضا إلى جانب الأغراض المعنوية المستهدفة من وراء ذلك.

ثالثا: التضام:

هو "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"²⁵، لذا يعدّ من أنواع الربط المعجمي، فيقوم على العلاقات بين المفردات المشكلة للنصّ، كالتضادّ، أو القسم العام نفسه أو علاقة الجزء بالكل والعكس، أو علاقة الجزء بالجزء²⁶، ويمكن توضيحها كما يلي:

1- التضاد: وهو الإتيان بالتقابلات اللغوية في نصّ معيّن، مثل: (ميت، حيّ)، لإعطائه بعدا جماليا من ناحية، ولتوضيح المعاني المقصودة بطريقة تجعل المتلقي يقابل بينها، وقد وظّف الفرزدق في قصيدته التضادّ في مواضع عديدة، منها قوله²⁷:

إِنْ عَاقَبُوا فَاَلْمَنَآيَا مِنْ عُقُوبَتِهِمْ وَإِنْ عَفَوْا فَدَوُّوْا الْأَحْلَامِ إِنْ قَدَرُوا

من خلال هذا البيت يتضح أن الشاعر وظّف التضاد بين (عاقبوا، عَفُوا)، في سياق إثبات قدرة الممدوح وعشيرته وتمكّنهم، فهم يملكون القدرة على إنزال أشدّ العقاب، كما يملكون القدرة على العفو إن أرادوا ذلك، فهذه المعاني المتضادة أعطت للنص الشعري هنا تماسكا معنويا بين شطري البيت. وقد تمّ توظيف التضاد في مواضع أخرى من القصيدة كما هو موضّح في الجدول الآتي:

رقم البيت	الشواهد	طبيعة التضاد
01	النّوم / السّهر	تضاد بين اسمين.
05	جائحات/ الغيث	تضاد بين اسمين، فالجائحات هي البلايا المهلكة وعكسها الغيث المنجي.
12	تَفَرَّقَ / جَمَعْتُ	تضاد بين فعلين.
44	فَرَّقَ/جَمَعَهُ	
12	صَرِيْمَةٌ / خَوْزٌ	تضاد بين اسمين، فالصريمة من العزم والقوة، أمّا الخور الضعف.
18	التّهجيرُ/ البُكرُ	تضاد غير مباشر بين الاسمين، التهجير منتصف النهار وقت الحر، والبكر وقت برودة الجو صباحا.
39-33	أصبحوا-أمسى	تضاد بين فعلين

فالفرزدق وظّف في قصيدته مجموعة من الكلمات المتضادة وفي البيت نفسه تقريبا، منوعا بين التضاد الاسمي والتضاد الفعلي، مما يجعل متلقي خطابه يربط بين المعاني المتقابلة مباشرة في ذهنه، وهذا ما يسهم في تماسك نصه الشعري المدروس.

2- عناصر من القسم العام نفسه: مثل كرسي، طاولة...تنتهي إلى قسم عام يسمى التجهيز²⁸، وقد ورد في قصيدة الفرزدق هذا النوع من العلاقات، من ذلك قوله²⁹:

قَرَّبْتُ مُحَلِفَةً أَقْحَادَ أَسْنُمِهَا وَهُنَّ مِنْ نَعَمِ ابْنِي دَاعِرٍ سِرَرُ
مِثْلُ النَّعَائِمِ يُزَجِينَا تَنْقُلُهَا إِلَى ابْنِ لَيْلَى بِنَا التَّهْجِيرُ وَالْبُكْرُ
وَكَيْفَ تَرْجُونَ تَغْمِيضاً وَأَهْلُكُمْ بِحَيْثُ تَلَحُّسٌ عَنْ أَوْلَادِهَا الْبَقَرُ

فالشاعر استعمل كلمات (نعم، النعائم، البقر)، فالنعم يقصد بها الإبل هنا، والنعائم هي النعام، إضافة إلى ذكره البقر، فهذه الكلمات تنتهي إلى قسم عام يسمى جنس الحيوان، واستعمال الشاعر لها لم يكن اعتباطا، بل شبّه الإبل في إسراعها بالنعام، وحثّ قومه على الإسراع لأنهم تركوا أبناءهم مع أمهاتهم اللواتي يعطفن عليهم كما تعطف البقر على عجولها، فكانت هذه العناصر مجتمعة تربط بعضها بعضا.

وقد وردت في قصيدة الفرزدق كلمات أخرى تنتهي إلى القسم العام نفسه، يبينها الجدول الآتي:

رقم البيت	الشواهد	القسم العام
25-6-5	ثلاث/ثنتان/سبع	الأعداد.
24	الليب/قسا/براق	سطح الأرض وتضاريسها

استعمل الفرزدق كلمات تنتمي إلى القسم العام نفسه، من خلال ذكر مجموعة من الأعداد مرتبطة بالزمن يبيّن من خلالها معاناتهم، كما ذكر صعوبات الطريق فيجتازون الكثير من المناطق الرملية والجبلية والأراضي القاحلة البيضاء، لتجتمع تحت مسمى سطح الأرض وتضاريسها، وهي كلها مترابطة ببعضها يبيّن من خلالها الشاعر معاناتهم المختلفة زمانا ومكانا.

3- علاقة الاشتمال: وتعني دخول عنصر معيّن في مجموعة أكبر منه³⁰، فعلاقة الاشتمال تسير في اتجاه واحد، فالعنصر أ يشتمل على العنصر ب وليس العكس، من ذلك مثلا الكلمات الآتية (حمامة، طائر حيوان)، ويمكن التمثيل لهذه العلاقة من قول الفرزدق³¹:

وَمَا أُعِيدَ لَهُمْ حَتَّى أَتَيْتَهُمْ أَزْمَانَ مَرَوَانَ إِذْ فِي وَحْشِهَا غِرْرُ
فَأَصْبَحُوا قَدْ أَعَادَ اللَّهُ نِعْمَتَهُمْ إِذْ هُمْ قُرَيْشٌ وَإِذْ مَا مِثْلُهُمْ بَشَرُ

من خلال هذين البيتين يذكر الفرزدق أنّ ممدوحه أعاد إليهم عهد الشجاعة والقوة والكرم التي كانت موجودة زمن مروان بن الحكم المنحدر من قريش، وهذه الأخيرة نسب النبي ﷺ فهم أفضل البشر نسبا، فاستعمل الشاعر هنا كلمات (مروان، قريش، بشر)، فجنس البشر أعلى الهرم، ويشتمل على قبيلة قريش، وفي قريش رجل اسمه مروان وهو جدّ الممدوح عمر بن عبد العزيز، فالشاعر هنا وظّف هذه الكلمات مرتبة ترتيبا تسلسليا، الأمر الذي يجعل متلقي شعره هنا يحسّ بهذه العلاقة المترابطة في هذين البيتين.

4- علاقة الجزء بالكل والعكس: وهذا مثل علاقة الفم أو الرأس بالجسم أو العكس، وهذا ما نجده في قول الفرزدق³²:

قَرَبْتُ مُحْلِفَةً أَقْحَادَ أَسْنُمِهَا وَهُنَّ مِنْ نَعَمِ ابْنِي دَاعِرٍ سِرْرُ
مَا إِهْتَرَّ عَوْدُ لَهُ عِرْقَانِ مِثْلُهُمَا إِذَا تَرَوَّحَ فِي جُرْثُومِهِ الشَّجَرُ
أَلْفَيْتَ قَوْمَكَ لَمْ يَتْرُكْ لِأَثْلَتِهِمْ ظِلٌّ وَعَنْهَا لِحَاءُ السَّاقِ يُقْتَشَرُ

حيث وظّف الشاعر في البيت الأول لفظ (أسنمها، نعم)، فسنام الجمل جزء منه، وقد ذكر الفرزدق عظم السنام هنا ليبين أنه اختار أفضل الإبل للذهاب إلى ممدوحه عمر بن عبد العزيز.

كما استعمل لفظ (الشجر، لحاء الساق) في البيتين الثاني والثالث، وهي علاقة كلّ بجزء، فالشجرة تمثل الكلّ، ولحاء الساق جزء منها، ويهدف الشاعر من خلالها تبين حالة الجذب التي أصابت الشجر ككلّ فصار لحاؤها يتقشر أيضا، فهو بهذا الوصف يريد أن يبين الحالة التي كانوا عليها راجيا تحسّن الوضع بعد معي عمر بن عبد العزيز³³.

5- علاقة الجزء بالجزء: وهذا مثل علاقة اليد بعضو آخر في الجسم كالفم أو الأذن مثلا، وقد وردت هذه العلاقة أيضا في قول الفرزدق³⁴:

ثِنْتَانِ لَمْ تَتْرُكَا لَحْمًا وَحَاطِمَةً بِالْعِظَمِ حَمْرَاءُ حَتَّى اجْتِيَحَتِ الْغُرُرُ

فالشاعر في هذا البيت وظّف جزءا من الجسم متمثلا في كلمة (لحما)، وأعقبه بذكر (العظم)، وهو جزء منه أيضا، وهذا كناية عن شدة المصيبة التي ألمت بهم، فسنتان أكلتا اللحم، والثالثة حطمت العظم -حسب تعبيره- من شدة قسوتها عليهم، وقد أخذت منهم كلّ أموالهم³⁵، فالعلاقة بينهما علاقة ترابطية مرتبة، وهنا يبرز دورها في تماسك العبارة التي وظّفها في نصّه الشعري.

خاتمة:

- وفي الختام أسفرت هذه الدراسة عن نتائج يمكن تلخيصها في ما يلي:
- أسهم توظيف التكرار الكلي في اتساق النص الشعري المدروس، ويظهر هذا جليًا في تكرار (ابن ليلى) الوارد في مواضع عديدة ومتفرقة من القصيدة؛ لإبراز الممدوح كمحور رئيس للنص الشعري، ولربط مكُوناته وإظهاره كنسيج واحد.
 - أكثر الشاعر من توظيف التكرار الجزئي لمفرداته موظفًا مشتقات مختلفة لها للمحافظة على الترابط المعنوي بين مكُونات نصّه الشعري بعيدا عن الرتابة، ولإضافة معاني أخرى ناتجة عن هذه العملية.
 - نوع الشاعر في استخدام آليات التضام المختلفة من تضادّ وانتماء إلى القسم العام نفسه وعلاقات الاشتمال؛ والجزء بالكلّ؛ والجزء بالجزء، فأدّت دورا مهمّا في ربط المعاني بعضها ببعض في القصيدة.
 - برز التضادّ في القصيدة كآلية مهمّة من آليات الاتساق المعجمي؛ لما له من أهمية في إيضاح المعاني المستهدفة، ولإعطاء النص الشعري بعدا جماليا أيضا.
 - وفي الأخير يمكن القول إنّ الشاعر قد وظّف مفرداته في هذه القصيدة بعناية؛ الأمر الذي أعطاها بنية نصية متّسقة معجميا، وجعلها تتميز بالثراء اللغوي ما يؤهلها لتكون مجالا خصبا لدراسات لغوية أخرى.

هوامش وإحالات المقال

- ¹ ينظر: الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999، ص338.
- ² ينظر: ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، 1993، ج10، ص379-380.
- ³ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص5.
- ⁴ ينظر: سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997، ص72.
- ⁵ أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، ج2، ص1462.
- ⁶ ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، ج12، ص388.
- ⁷ ينظر: الفيروز أبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005، ص1135.
- ⁸ أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، ج2، ص1462.
- ⁹ نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009، ص137.
- ¹⁰ عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009، ص105. نقلا عن: Halliday; Hasan, Cohesion in English, London, 1976, p318.
- ¹¹ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص24.
- ¹² ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998، ص301.
- ¹³ ينظر: نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، ص100.
- ¹⁴ ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001، ص106.
- ¹⁵ الفرزدق، الديوان، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص165-167.
- ¹⁶ ينظر: إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1983، ج1، ص316.
- ¹⁷ الفرزدق، الديوان، ص164-165.
- ¹⁸ ينظر: إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص312.
- ¹⁹ أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص107.
- ²⁰ ينظر: روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص306.
- ²¹ الفرزدق، الديوان، ص166.
- ²² ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998، ص220.

- ²³ الفرزدق، الديوان، ص166.
- ²⁴ ينظر: ابن منظور، لسان العرب، ج4، ص194.
- ²⁵ محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.
- ²⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص25.
- ²⁷ الفرزدق، الديوان، ص167.
- ²⁸ ينظر: محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص25.
- ²⁹ الفرزدق، الديوان، ص165-166.
- ³⁰ ينظر: أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص100.
- ³¹ الفرزدق، الديوان، ص167.
- ³² المصدر نفسه، ص165-166.
- ³³ ينظر: إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص315.
- ³⁴ الفرزدق، الديوان، ص164.
- ³⁵ ينظر: إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، ج1، ص312.

قائمة المصادر والمراجع:

- 1- أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001.
- 2- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998.
- 3- أحمد مختار عمر وآخرون، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008.
- 4- إيليا الحاوي، شرح ديوان الفرزدق، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1983.
- 5- الرازي محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح، تح: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ط5، 1999.
- 6- روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998.
- 7- سعيد حسن بحيري، علم لغة النص (المفاهيم والاتجاهات)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1، 1997.
- 8- عزة شبل محمد، علم لغة النص النظرية والتطبيق، مكتبة الآداب، القاهرة، ط2، 2009.
- 9- الفرزدق، الديوان، شرح: علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987.
- 10- الفيروز آبادي مجد الدين، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي وآخرين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط8، 2005.
- 11- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.
- 12- ابن منظور محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، دت، 1993.
- 13- نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط1، 2009.